قيم العمل وأخلاقياته في المجتمع المصري القديم

رؤية تحليلية

أ.د/ اعتماد محمد علام(*)

يقول شامبليون: *"ما من شعب بين الغابرين والمعاصرين قد بلغ في فن الحضارة ما بلغ قدماء المصريين من روعة لا تدانى وجلال لا يضارع.ويكاد يكون ما عملوا لا يصدر إلا عن عمالة ارتفعت هاماتها إلى مائة من الأقدام"*

(توفيق أحمد عبد الجواد، ١٩٨٤: ١١-١٢)

مقدمة:

تهدف هذه الورقة من خلال ثبت وثائقي متمثل في البرديات ونقوش المعابد والتماثيل وغيرها من آثار تاريخية، أن نعرض لعدد من قيم العمل وأخلاقياته المتأصلة في الشخصية المصرية منذ آلاف السنين، والتي تشكّلت خلال تأسيس المصريين لأعظم حضارة ابتدعتها البشرية، وهذا ما أشار إليه هوفمان في مقدمة كتابه الموسوم – Egypt Before the pharaohs – بقوله مؤكدًا أن مصر أصل الحضارة والدولة، ومبدأ الزراعة، وتحويل الحيوان الوحشي إلي حيوان أليف، وأصل كمال السيطرة على إجادة الحرف والصيد، والتمكن من الصناعة، وتطوير القيم الأخلاقية، وتأسيس الجذور النامية للثقافة المصرية منذ آلاف السنين قبل أن يتربع أول فرعون على عرشه (عطية عامر، ١٩٩٥: ٦).

ويمكن القول دون أدني مبالغة أن عظمة الحضارة المصرية التي ارتكزت على تجانس غير مسبوق للشعب وتماسكهوتعاونه الخلاّ ق، وإيمانه الراسخ بالعمل، وعبقرية موقعه وموضعه، وارتباطه روحيًّا وبدنيًّا بالنيل العظيم أكسب الشخصية المصرية منذ بدء التاريخ طاقة كامنة عظمي تجعلها تتميز على غيرها من الحضارات، وإذا ما وفدت إليها حضارة استطاعت هذه

(*) أستاذ علم الاجتماع بكلية البنات – جامعة عين شمس.

الطاقة أن تستأنسها، بل وتجعل الحضارة الوافدة حضارة مقلدة غير منافسة للحضارة المصرية، ولا شك أن وراء هذه العظمة في شخصية مصر شعب يؤمن إيمانًا قويًّا بقيمة العمل التي تتعاظم بدورها بفعل القوة الدينية المتغلغلة في الشخصية المصرية منذ نشأة أول مجتمع على ضفاف النيل العظيم. وأن المصريين قد كيفوا أنشطتهم اليومية من فن وأدب ونظام حكم وفق ما تقتضيه ديانتهم (عماد عبد القادر سعيد، ٢٠١٠م: ٤).

في إطار ما سبق، تنقسم هذه الورقة إلى العناصر التالية:

أولاً: ماهية قيم العمل.

ثانيًا: منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية لدى قدماء المصريين.

ثالثًا: نماذج من قيم العمل في المجتمع المصري القديم.

أولاً – ماهية قيم العمل:

إذا حاولنا التأصيل النظري لأدبيات القيم، لاتضح لنا افتقارها لرؤية نظرية شاملة، بجانب اتصافها بالعديد من الإشكاليات النظرية والمنهجية على حد سواء؛ نظرًا لأن القيم تمثل قضية شائكة ومركبة، وأنها وإن كانت تتصف بالثبات النسبي، إلا أنها تتغير بتغير مكونات البناء الاجتماعي، وتتباين بتباين المراحل التاريخية، كما أنها موضوع بيني، يهتم بدراستها تخصصات علمية متنوعة لكل مداخله النظرية حسب بؤرة اهتمامه ومنهجيته، وعلى الرغم من دراسة القيم إلا أن الكثير من المحاذير الخاصة بالتعريفات والمفهومات ذات الصلة، كالمعايير والدوافع والاتجاهات والتفضيلات، إضافة لتنوع مداخل دراسة القيم منهجيًّا، مما يتطلب من الباحث قدرًا كبيرًا من الحيطة والحذر.

من منظور التأصيل النظري بما يخدم أهداف الورقة، تُعرف القيم بأنها المعايير والمعتقدات التي توجه تفضيلاتنا وخياراتنا وتشكل في مجملها النظام الاجتماعي، والنسق الثقافي، والوفاق الأخلاقي للمجتمع، ومن خلالها يمكن فهم الخلفية الفكرية التي توجه أفراد المجتمع، وتحقق الانضباط للتفاعل، والنشاطات الإنسانية التي يقومون بها،ومن ثم تُشكل القيم الاجتماعية العقل الجمعي للمجتمع ذاته، وتتطابق القيم (أصوليًّا) مع الأعراف التي يحتكم إليها الناس عند تقييمهم للسلوك والممارسات في المواقف الاجتماعية المختلفة. ومن ثم، تتعدد القيم في المجتمع الواحد في مختلف المجالات الحياتية فتوجد قيم الجمال، قيم العمل، القيم الحاكمة للمعاملات

التجارية، أيضًا توجد القيم المركزية التي يعرفها الناس مثل قيم الأمانة، والوفاء، والصدق والإحسان، وحسن الجوار.

ثانيًا: منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية لدى قدماء المصريين:

تبدو أهمية هذا البعد في ضرورة القراءة المتأنية للتراث الفكري والأخلاقي الممتد لقرون طويلة داخل المجتمع المصري – لاستخلاص منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية الأصيلة كنموذج للمجتمع الضارب بجذوره في أعماق التاريخ الإنساني وكأول دولة عرفت الاستقرار في تكوين اجتماعي متكامل، وأنه كما يذكر لوكرت Luckert في مقدمة كتابه "النور المصري والنار العبرية"Egyptian light and Hebrew Fire " أن مصر وضعت قواعد التأنيس (انتقال الإنسان من حياة التوحش إلي حياة الاستئناس)، والذي يعد أعظم تطور حدث في تاريخ البشرية كلها، وأن هذا الانتقال قد مهَّد لتكوين مجتمع متحضر وظهور أول دولة عرفها التاريخ الإنساني (عطية عامر ١٩٩٥م: ٧).

وقبل أن نتناول قيم العمل وأخلاقياته في المجتمع المصري القديم، يجدر بنا التعرف على حال المجتمع البشرى منذ فجر التاريخ، كما ذكره جمال حمدان في موسوعته الجغرافية عن شخصية مصر: عبقرية المكان. حيث كان للسلطة السياسية حاجة مجتمعية لضمان العدالة المائية والتنبؤ بحجم فيضان نهر النيل، ونوعية الزراعة الفيضية وقتئذ، وأن البيئة النيلية والحاجة الاجتماعية والمعيشية تطلبت نظامًا إداريًّا يحقق هذه الوظائف، كما أن البيئة النيلية وتكرار إغراق الفيضان للأراضي المنخفضة، أجبر المصريين على السكنى فوق الأكوام والتجمع في شكل قرى وظهور التنظيم الاجتماعي لأول مرة داخل مجتمع بشرى في التاريخ. فضلاً عن ظهور عادات وتقاليد خاصة بالملبس والعلاقات الزواجية، والطقوس الدينية خاصة ما يتعلق بدفن الموتى، وارتباط الاستقرار النفسي والعصبي للمصريين بشيوع اللون الأخضر الذي يعشقه الوجدان المصري ويهواه، فقد ذكر اليوت سميث أن لون النيل الأخضر ولون الشعير الأخضر جعلا للون الأخضر أهمية خاصة في حياة المصريين (جمال حمدان، ١٩٩٤م: ٣٩٤).

في إطار ما سبق، يأتي السؤال المهم هنا: من أين نبدأ البحث حول منظومة القيم في المجتمع المصري القديم؟ وكان اقتراحنا أن نرجع إلى المجتمع المصري القديم، حيث ازدهرت الحضارة المصرية القديمة، التي امتدت لما يقرب من ستين قرنًا. ومما يقوي هذا الاقتراح مسلمة: مفادها أن الأصل في الحياة الثقافية لشعب من الشعوب هو وحدة الاتجاه والذي على أساسها يميز مؤرخو الثقافات بين الشعوب بعضها البعض (زكي نجيب محمود، ١٩٩٩م: ٢٣٨). فكانت

مصر قبل مواجهتها للحضارة الأوروبية متجانسة في مناخها الثقافي وكذلك المصريون شعب ينجدل في شخصيته التدين بالعمل انجدالاً يصعب تجزئته أو الفصل بينهما.

ما من شك أن محاولة وضع أيدينا على منظومة القيم الاجتماعية بعامة، وقيم العمل على وجه الخصوص في المجتمع المصري القديم ليس بالأمر الهين؛ نظرًا لطول الفترة التاريخية لهذا المجتمع، وتباين فترات الحكم من حيث: الازدهار والاضمحلال، مما كان له الأثر على سلوك أفراد المجتمع المصري، ومعتقداته وعاداته وقيمه، إضافة إلى أن ما تم الكشف عنه من أوراق البردي والنقوش على جدران المعابد المصرية لا يعطي بشكل كامل حالة المجتمع المصري القديم وحياته الاجتماعية من كل جوانبها على امتداد الفترة لتاريخ الحضارة المصرية القديمة من عام ٦٠٠٠ إلى عام ٣٣٢ قبل الميلاد (عندما غزا الإسكندر الأكبر مصر)، وعلى حد قول هوفمان أن الزمن السابق لوجود الأسر الحاكمة بدأ فيه إقامة الثقافة التي كانت أساسًا للنهضة الثقافية التي اكتملت في مصر القديمة، وأعطت مصر أبعادها الحضارية والثقافية والسياسية والنفسية والاجتماعية والدينية (عطية عامر: ١٩٩٥: ٧). وبلورت شخصية مصر المتفردة التي أسهمت عبقرية المكان وخصوصيته الجغرافية فضلاً عن عبقرية الموضع – كما أشار جمال حمدان – إلى أن أصبح شعب مصر شعب خاص. وقد جعلهم تاريخهم وجغرافيتهم يختلفون عن سكان أية أمة من الأمم (جمال حمدان، الجزء الأول، بدون تاريخ: ٣٥).

لهذا سوف نحاول في هذا الجزء من الورقة، استخلاص منظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية في المجتمع المصري القديم، مع إشارات لبعض قيم العمل المنجدلة في هذه المنظومة والتي يصعب فصل هذه القيم عنها – وسوف نعتمد في ذلك على أبرز الفترات التي مرت بها من حيث: توفر المادة التي تصور حالة المجتمع، وحياته، وآدابه وفنونه، ومعتقداته، وأخلاقياته. وكما ذكر جيمس هنرى برستد James Henry Breasted (١٨٩٤–١٩٣٥) – وهو عالم مصريات أمريكي – أن الفترتين: الأولى (فترة حكم أحمس الأول)، والتي تلت سقوط الدولة الوسطي، والثانية (فترة حكم الأسرتين العشرين والحادية والعشرين)، تعتبران من أكثر فترات التاريخ المصري القديم وضوحًا للمؤرخين، لاسيما الفترة الثانية التي كشفت الكثير عن حياة المصري القديم وتقاليده وعلاقاته، مما يتيح للباحثين الاستفادة منها بشكل جيد (برستيد ١٩٩٦: ١٥٤).

كما سنعتمد في مناقشتنا لمنظومة القيم في المجتمع المصري القديم على السمات الأكثر شيوعًا في الشخصية المصرية، وأبرز القيم شيوعًا، والتي تشَكلت خلال تأسيس المصريين

لأعظم عمليات ثقافية ابتدعتها البشرية، ويمكن القول دون أدني مبالغة أن عظمة الحضارة المصرية ارتكزت على تجانس غير مسبوق للشعب، وتماسكه، وتعاونه الخلاق وإيمانه الراسخ بالعمل، وعبقرية موقعه، وموضوعه، وارتباطه روحيا وبدنيا بالنيل العظيم. وفيما يلي سوف نتلمس عددًا من القيم الأخلاقية:

١ – النيل والقيم الأخلاقية:

يمكنا القول إن الارتباط الوجداني والروحي بالنيل يمثل جوهر أخلاقيات العمل لدي المصري القديم وفاءً، وإخلاصًا، وحبًّا، وتقديرًا. وهذه خصوصية تتفرد بها العلاقة بين المصري والنيل دون أي جنسية أخرى أو مجري مائي آخر فكما يقول جمال حمدان *"الطبيعة، البيئة، النهر، النيل، ليست وحدها إذن كل شيء؛ بدليل أن ثمة في العالم أنهارًا كثيرة دون أن تعرف وديانها حضارة على الإطلاق أو حضارة جديرة مثمرة على أية حال .... أين مثلاً مسيسبي الهنود الحمر من نيل مصر؟ حتى أنهار الحضارة في العالم القديم لا تقارن بالنيل من حيث الاستجابة الحضارية ..."* (جمال حمدان، الجزء الثاني، ١٩٩٤: ٤٤٩).

أيضًا يتضح لنا قوة قيمة العمل وتوجهات المصريين القدماء القوية نحوها من قول ايست – رافضًا قول هيرودوت أن مصر هبة النيل، وأن مصر هبة الإنسان بقدر ما هي هبة النيل (جمال حمدان، الجزء الثاني، ب. ت: ٤٤٨)، ويتفق جمال حمدان مع هذا الرأي ويعلق عليه بما نستخلص منه قيمة العمل وارتباطه الروحي والديني لدي المصريين. يقول جمال حمدان *"... فالمصريون حين هبطوا الوادي في فجر التاريخ وجدوا بيئة بدائية لا تصلح للسكني والاستغلال: المستنقعات والبِرك والأدغال والنباتات والحيوانات البرية، وكان عليهم أن يغيروا هذا كله بالجهد الشاق والعمل الجماعي* (وفى هذا السياق تبرز قيمة التعاون واضحة) *المضني والمتواصل في تطهير النبات والحيوان وضبط النهر..."* (جمال حمدان، الجزء الثاني، ١٩٩٤م. ٤٤٩).

أيضًا تطلبت طبيعة البيئة النهرية استمرار قيام المصريين بأعمال التطهير، وحفظ السدود والصرف بانتظام، وكان ضروريًّا لتحقيق هذا الجهد الجثماني الخارق والجسيم أن يتولد لدي المصري قيم التحدي، والمثابرة، والأداء بقوة والإنجاز بما يحقق لهم في النهاية إخضاع البيئة لهم. وعن هذه التوجهات الإيجابية نحو العمل يعبر سترابو بقوله عن المصريين: *إنهم يقهرون الطبيعة بالعمل والجهد وكثيرا ما ينجح الجهد حيث تخفق الطبيعة"* (جمال حمدان، الجزء الثاني، ١٩٩٤م: ٤٤٩).

يؤكد الباحثون في تاريخ المجتمع المصري القديم أن طبيعة النيل المنبسطة بلا أمواج ولون الزروع المخضرة انعكس بقوة في نفوس المصريين، وطبائعهم، وعاداتهم، واصطبغت ثقافتهم بالصبغة الدينية، فصار الشعب المصري منبسط السريرة متديناً عميق التدين يصل الدنيا بآخرته تجئ لتقيم موازين الحساب. وعلى هذا الإحساس الثقافي العميق يتصرف المصري، ويسلك مسالك في حياته تعكس قناعته بما هو كائن وما سوف يكون (زكى نجيب محمود، ١٩٩٩: ٢٣٩)، ومن هنا تتأصل داخل المصري قيمة الصبر، وأداء العمل بإخلاص، وانتظار النتيجة أو ما سيأتي مستقبلا من جراء هذا العمل.

وتتجلي هذه القيمة عندما تحول المصري القديم إلى زراعة المحاصيل مستخدماً مياه النيل ثم انتظاره حتى تؤتي الأرض ثمارها، ويكون هذا الصبر مقروناً بالمثابرة مع التسليم الإيماني بأن الأرض ستنبت في موعدها وفق الدورة المحاصيلية، وإذا ما أجدبت الأرض بسبب نقص مياه النيل، فإنه ينتظر وفاءه وفيضانه ليبدأ من جديد دون إحساس بالملل، وتلعب الشمس، والقمر معًا دورًا حيويًّا بالغ الأهمية إلى جانب النيل العظيم في عقيدة المصري القديم، فقد كان المصريون يرتبون مواقيتهم على حسب سير القمر، وصار لهذا الكوكب منزلة مقدسة عندهم فاعتبروه إله الحساب والآداب والحكم، وجرت العادة أن يرمز للقمر بالطائر "أيبس" المعروف "بأبي منجل". كما شاعت عبادة الشمس وتركزت في مدينة عين شمس، وهناك أطلق المصريون على قرص الشمس اسم "رع" ثم لقبوه باسم "أتوم" وقت الغروب وصوروه بشكل رجل هرم قدمه في القبر (برستد، ١٩٩٦: ٣٨). وكان للشمس تأثير كبير وعميق في سكان وادي النيل فهو إله الشمس "رع".

ثم الاعتقاد في إله ثان هو النيل أو (الخضرة التي تروي من مائه)، ويعرف بإله الخضرة "أوزير" ومن ثم نقول: إن أقدم المصريين عهدًا كانوا يعبدون آلهة ليست لها صفات خِلقية. وظل تقديس المصريين لصافات الربوبية المفيدة لكل المصريين حينها وهناك نوع من التكامل في الوظائف بين الأرباب بدون خلاف بين الشعب.

ولم ينقطع هذا التقديس إلا عندما مُحيت الديانة المصرية في ختام القرن الخامس الميلادي. وأن هذا الاتجاه الديني القديم انتقل تدريجيًّا من مجرد إله الشمس كقوة من قوى الطبيعة إلى مكانة أمة عظيمة، بمعني أن ميدان عمل إله الشمس أصبح بالضرورة ميدان الحياة البشرية والشئون القومية، وأثر هذا البعد الديني على المدينة المصرية، كما أصبحت علاقات الحياة الاجتماعية بكل أشكالها تؤثر تأثيرها في الدين لاسيما بعد عام ٤٠٠٠ ق.م فأصبح النظام

السياسي للبلاد يحوز في أذهان الناس مكانة موازية لما حازته الظواهر الطبيعية، واستطاعت الأنظمة القومية أن تضع أمام أعين الناس صورًا خلابة لمظاهر الحكومة، وتدريجيًّا بدأت هذه المظاهر تنتقل إلى عالم الإلوهية حتى صار الإله العظيم يسمي في بعض الأحيان "مَلكًا". وخلال هذه الفترة من التحول بدأ الإنسان المصري يدرك القيم الأخلاقية كما نعرفها الآن وقبل أن يعرفها بشر على ظهر الأرض حينئذ، وأصبحت قوة الإنسان الظاهرة والمنعكسة على سلوكه في العمل، والعلاقات الاجتماعية، وقوة الوازع الخُلقي الباطنة تؤلفان قوتين مبكرتين في تشكيل الديانة المصرية.

٢- المَلكية وقيمتي العدالة والطاعة:

لقد أفرزت الحاجة المجتمعية لسلطة سياسية تشرف على توزيع المياه والتنبؤ بالفيضانات من المياه والمحاصيل لمواسم الجفاف، قيمًا خاصة بالمَلكية التي بلغت في المجال السياسي إلى حد التأليه للمسئول الأعلى عنه وأن يخلع المصريون عليه التأليه والتقديس. أيضًا تعظيم قيمة العدالة حتى أصبحت مطلقة وأنها أساس المُلك وتخليده، ومن ثم امتزج مفهوم الحكم بمفهوم العدل .

ونورد فيما يلي نصًّا ذكره جمال حمدان يشير إلى حالة الالتصاق أو التلاؤم بين السلطة السياسية وحاجة المصريين لبقاء مجتمعهم:

"... كان توزيع المياه الفيضية بعدالة ضرورة أولية لبقاء المجتمع، فالزراعة الفيضية تفرض تركيز السلطة كلها في يد رجل واحد لضمان العدالة المائية وللتنبؤ بالفيضان القادم والنظر إلى الأمام للتخزين. ومن هنا ظهرت المَلكية، من ناحية أخرى مُنح الملك الصفة غير البشرية أو الطبيعية أي ظهر التأليه.... ومن تأليه المَلكية ظهرت الحاجة إلى الحفاظ على جسمه فكان التحنيط .... ثم الاهتمام بمساكن الموتى ....تشييد المقابر .... والأهرامات (جمال حمدان، الجزء الثاني، ١٩٩٤: ٤٩٤).

كما أن امتزاج العدل والعبادة في تقديس الحاكم اتصف بالخلود الزمني، أو ما يمكن أن نصفه بالعقد الاجتماعي الخالد بين السلطة السياسية ممثلة في المَلك والفرد في طابعه القومي والذي لا يخول له التحلل من الالتزام بطاعة المَلك، أما إذا تحلل المَلك عن التزامه بالعدل ومراعاة مصلحة الأفراد فعقابه سوف يكون أخرويًّا ولا يسقط حسابه بالموت وتكون المطالبة بحق الأفراد المصريين بعد مماته (محمد نور فرحات، ١٩٨٦م: ٢٢٦- ٢٢٧).

٣- ماعت والقيم الأخلاقية السامية:

ما من شك أن وراء عظمة شخصية مصر الإيمان القوى بالقيم الأخلاقية – وقيمة العمل على وجه الخصوص- وقد تعاظم دور هذه القيمة بفعل القوة الدينية المتغلغلة داخل هذه الشخصية، والتي التزمت في ممارسة جميع أنشطتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالاتحاد مع "ماعت" (وهي كلمة مصرية قديمة واحدة جامعة) يراد بها الحق والعدالة والصدق (عماد عبد القادر، ٢٠١٠: ٥). وتم تصويره كآلهة منذ منتصف عصر الدولة القديمة (٢٦٨٠ ق.م إلى٢١٩٠ق.م)، وآمن المصريون القدماء بأن الأفعال الإلهية تتحكم في جميع جوانب الطبيعة. وتعد "ماعت" رمز نظام الكون، (تمثل بهيئة سيدة تعلو رأسها ريشة النعام، رمز العدالة، ويُنسب إلى ماعت التحكم في فصول السنة وحركة النجوم؛ لهذا سميت مصر قديمًا (أرض النيل و"الماعت")، ويطلق يان اسمان Jan Assmann- وهو عالم مصريات ألماني – على "الماعت" العدالة الوصالية التي تربط المصري القديم بالدولة والدين، وأن "ماعت" كنظام يقيم العدل دون وضع تشريعات، كما يعبر في الوقت ذاته عن العدالة ويحمل معنى الحقيقة والانسجام. كل هذا أدى إلى ظهور أول نظام أخلاقي، وأثرى هذا الاتجاه الأخلاق السامية في أعماق العقل البشري لمدة ألف عام، وتشُكل سلوكياته في العمل، والعلاقات والروابط المجتمعية والأسرية، فوصلت دائرة حياة الأسرة إلى درجة سامية من الرقي تزينها العواطف الرقيقة واحترام الأم، والمساواة في الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء في مختلف مناشط الحياة، وأخذ المصري يدرك أن بعض السلوك "ممدوح" وبعضه "مذموم"، ويحيق الموت بالمجرم الذي يحمل الجريمة. و"المحبوب"، و"المجرم" حكمان اجتماعيان يحددان ما هو "ممدوح" (محبوب) من سلوك وما هو "مذموم" (مكروه) من سلوك (برستد، ٢٠٠١: ٣٨، ٤٣، ٥٦ – ٥٧).

اتخذ "الماعت" كمفهوم أبعادًا متعددة من بينها البعد الاجتماعي، وهذا البعد جعل المصري القديم يختلف عن سائر أفراد المجتمعات القديمة، من حيث: كيفية تعامله ونظرته إلى المجتمع الذي يحيا بداخله، إلا إذا كان على الفرد والمجتمع معًا أن يكونوا متفاعلين وإيجابيين من خلال قيم التضامن، والتكاتف الاجتماعي، ومساعدة الآخرين، والتمسك بالقيم الأخلاقية. "فالماعت" – كما يذكر يان اسمان – يربط العمل بالأفراد أو الآخرين مع وجود قابلية التذكر الإنساني، فالعمل من أجل مصلحة الآخرين يعد من أشكال الذاكرة الاجتماعية (عماد عبد القادر سعيد، ٢٠١٠: ٧).

٤- البر بالوالدين والقيم الأسرية وقيم الأمن الاجتماعي والسلام:

مع تطور الحياة الخُلقية عند قدماء المصريين حتى بلغت أوج عظمتها (بعد سنة ٣٠٠٠ ق.م) ومن خلال جهد الباحثين للتراث المصري القديم من عصر الأهرام، أمكن التعرف على الحياة الأسرية عند قدماء المصريين، وكيف أسهمت في ظهور الأفكار الخُلقية ونموها. حيث يتضح من قراءة متون الأهرام (وهى أقدم نص ديني دونه الإنسان على الإطلاق) أنه ساد اعتقاد بضرورة تحَلي الفرد بالقيم الأخلاقية الفاضلة والتي توجه سلوكياته في تعاملاته مع أفراد أسرته (وهم الوالد والوالدة والأخوة والأخوات). فمن النقوش على قبر أحد أشراف رجال الوجه القبلي الذي كان يعيش في القرن السابع والعشرين ق.م وبعد أن عدد لنا الكثير من أعماله الطيبة *"أني لا أقول كذبا لأني كنت إنسانا محبوبا من والده، ممدوحا من والدته حسن السلوك مع أخيه ودودا لأخته"*. (برستيد ٢٠١١: ١٣١).

كانت قيمة البر بالوالدين من أهم القيم الفاضلة البارزة في عصر الأهرام. وكما هو مذكور في النقوش القديمة مرارًا في جبانات الأهرام أن المقابر الضخمة كانت من صنع الأبناء البررة لآبائهم المتوفين، ومن بين تلك النقوش نورد النص التالي الدال على بر الابن بأبيه:

" والآن قد عملت على أن أدفن في نفس القبر مع "زاو" هذا (يعني والده) لكي أكون معه في مكان واحد على أني لم أفعل ذلك لأني لست في مكانة تُؤهلني لبناء قبر ثان، بل فعلته حتى أتمكن من رؤية (زاو) هذا كل يوم، ولكي أكون معه في المكان عينه"(برستيد، ٢٠٠١: ١٣٢).

أيضًا نجد منقوشًا على الجدران ما يشير إلى قيم الود والتعاطف والتراحم والمساواة بين الرجل والمرأة داخل محيط الأسرة. من هذه النقوش يذكر برستيد: "... *وترى فيها الشريف المصري القديم يصطحب معه زوجته في كل تلك الجولات الفسيحة في أرجاء ضيعته الشاسعة، فكانت تُري تتهادي بجانبه حينما كان يدخل من الباب العظيم المؤدي إلى حديقته الغَناء التي أقيمت في وسطها كرمته البهجة. فكان زوجته في الواقع تشاطر كل حياته وكل أعماله كما كانت ترافقه في الوقت نفسه في كل لحظة وكانت أطفالهما في صحبتهما دائما..."* (برستيد، ٢٠٠١: ١٣٤).

وتشير النقوش كالتي تركها أحد حكام المقاطعات ممن عاشوا في القرن السابع والعشرين ق.م عن حياته الصالحة، وأن مدي السلوك الحسن كان محصورًا على الأرجح في نطاق الأسرة ثم أخذ يتسع حتى صار يشمل الجيرة أو الطائفة/ وتبدو قيم الأمن الاجتماعي، والسلام والعدل فيما يقوله أحد حكام المقاطعات: *"لقد أعطيت خبزًا لكل الجائعين في جبل الثعبان (ضيعته) وكسوت كل من كان عريانًا فيها، وملأت الشواطئ بالماشية الكبيرة وأراضيها*

المنخفضة بالماشية الصغيرة، وأشبعت كل ذئاب الجبل وطيور السماء بلحوم الحيوانات الصغيرة ... ولم أظلم أحدًا قط في ممتلكاته حتى يدعوه ذلك أن يشكوني لإله مدينتي ولكن قلت وتحدثت بما هو خير. ولم يوجد إنسان كان يخاف غيره ممن هم أقوى منه حتى جعله ذلك يشكو للإله، ولقد كنت محسنًا لأهل صنيعتي بما في حظائر ماشيتي، وفي مساكن صيادي الطيور..." (برستيد، ٢٠٠١: ١٣٧-١٣٨).

لم تتوقف هذه البيئة ذات القيم الأخلاقية العالية في تاريخ البشرية في مصر على الأسرة والود والاحترام المتبادل بين أفرادها، بل شملت أيضًا المرأة، ومساراتها مع الرجل في مختلف مناشط الحياة. ليس فقط بل تجسدت المكانة القدسية للمرأة لدي المصري بعامة في عقيدته الدينية. كما شملت هذه البيئة من القيم السامية النظم الإدارية الحكومية في ظل عقيدة التوحيد. وعرجت مصر في مراقي التقدم في عهد الاتحاد الثاني وعصر الدولة القديمة، ومن ثم لم يكن من قبيل المصادفة أن يبلغ المصري القديم حضارته التي لا تباري. حيث قامت هذه الحضارة على ما لا يقل عن ألف سنة من التجارب الاجتماعية يقودها نظام قومي ذو أسس ثابتة نشطة (برستيد، ٢٠٠١: ١٥٨، ١٥٩).

٥- مكانة المرأة في المجتمع المصري القديم وقيمة المساواة:

واستنادًا على ما سجلته لنا الآثار المصرية من صور للمرأة، أو تماثيل منفردة لها أو مع زوجها، وما ورد عنها من أقوال الأدباء والحكماء وما حملته من ألقاب، وما شغلته من وظائف وما مارسته من أدوار سواء في أسرتها أو على مستوى المجتمع. وما تتحلى به من صفات والتي من بينها: *"المنقذة"، و"العالمة"، و"قوية الساعد"، و"القابضة على الأرضين"، و"عظيمة القوة"، و"سيدة التجلي"، و"جميلة الوجه"، و"عظيمة المحبة"، و"المشرقة كالشمس"، و"منعشة القلوب"، و"صاحبة الرقة"، و"سيدة المحبة"، و"سيدة البهجة"، و"سيدة النسيم"، و"سيدة المرح"، و"عظيمة الاحترام"، و"طاهرة اليدين"، و"سديدة الرأي"، و"الموقرة لدى زوجها" و"النبيلة"، و"محبوبة زوجها" و"صاحبة العظمة"، و"سيدة رعاياها"، و"ذات الجاذبية"، و"سيدة كل السيدات"، و"عظيمة الفضل"، و"حلوة المحبة"* (عبد الحليم نور الدين، ٢، ٤، ٥ https:// uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/8/8_2018_01_11!1115_15_AM.pdf.

أما عن أوضاع المرأة في المجتمع المصري القديم، فكانت لا تواجه أي نوع من أنواع التمييز، سواء في الحكم، أو في مجال العمل أو على مستوى الأسرة والمجتمع، بل اعتبرت ربة

للخصوبة، ومنجدلة تمامًا في تصور المصري القديم كقوة خلابة تنظم حركة الكون. وأن كل ما يحيط بها هبة من الله، بل إن إلهة الحكمة كانت في صورة امرأة، وللعدل إلهة وهى "ماعت" وللحب إلهة وهى "حتحور" وللقوة "سخمت" ولنبدأ أولاً بالمرأة في صورة الإلهة "إيزيس" على نقوش المعابد، وفي اضمامات البردي عندما سادت عبادة الأرض وكانت رمزًا للوفاء والإخلاص، وفيما يلي بعض الأبيات الشعرية التي تؤكد على قيمة المساواة بين الجنسين: *"إيه يا ايزيس....أنت سيدة البسيطة....لقد جعلت سلطة النساء مساوية لسلطة الرجال"*.

ومما يجدر التنويه إليه أن الأفكار المتعلقة بالخليقة هي التي كان يهيمن عليها الإله "آتوم"، وأن العنصر النسائي في التصور الإلهي لم يكن سلبيًّا بل كان الشريك، والرفيق، والمحامي في غالبية الأحوال، والمثير للقلاقل أحيانًا، واللطيف والعدواني، بل والشرس إذا لزم الأمر، وتمثل هذا كله في "إيزيس" ثروة البلاد ومصدر السعادة التي تتخذ هيئة "حتحور"(حتحور هي إلهة السماء، والحب، والجمال، والسعادة، والموسيقى والخصوبة). وسميت قديمًا باسم "بات" (ووجدت على لوحة نارمر) المحققة للنشوة " وتذكر كريستيان ديزروش نوبلكور Christiane Desroches Noblecourt (١٩١٣- ٢٠١١م) – وهى عالمة مصريات فرنسية أن أعياد "حتحور" تتفق مع موسم قطاف العنب وتدفق مياه النيل العاتية (نوبلكور، ٢٠٠٠: ١٢، ١٣، ١٦) وتجلّ ت "إيزيس" في نظر المصري القديم كأحسن ربة بيت معروفة على أوسع نطاق، "فإيزيس" هي صورة مصر ذاتها ورفيقة "أوزيريس" الرائعة التي عرفت كيف تساند وتخلد عبادة الزوج وتدافع عن وريثه قبل أن يصل إلى سن البلوغ، ومن أجمل الأناشيد "لإيزيس" في شكل "حتحور" نذكر عدد قليل من آبياتها (نوبلكور، ٢٠٠٠م: ١٨): *" ما أجمل وجهك... عندما تظهرين بمجدك ...عندما تكونين فرحة ...ياحتحور يا سيدة سنمن الجليلة...والدك رع يتهلك عندما تستيقظين...وأخوك شو يصافح وجهك...والقردة أمامك ترقص من أجل جلالتك...والكائنات تشدو من أجلك الأناشيد...وتزجى لك العبادات"*

وكانت للمرأة المصرية مكانة مرموقة في النظام الملكي، كما تشير إلى هذا الإشارات الإلهية الأنثوية في مختلف الأساطير المصرية. إذ تشير إلى أن المرأة الجالسة إلى جانب فرعون كانت لها مكانة مرموقة،ووفقً ا للطقوس القديمة التي تتيح زواج الملك من أمه أو أخته أو ابنته كان الاعتراف رسميًّا بحق الزوجة (الملكة) في التوارث كحتمية لابد منها، من منطلق مسلمة: مفادها "عن طريق الملكة ينتقل الجوهر الإلهي إلي ابن الملك". وكانت الأم الَملكية تقوم بدور في غاية الأهمية بجوار ابنها أثناء شبابها، وإذا أصبح وريث العرش يتيمًا كانت تقوم بممارسة واجباتها، في المقابل كان الابن يكن لأمه احترامًا شديدًا وتقديرًا بالغًا في حياتها ومماتها على

السواء (نوبلكور، ٢٠٠٠: ٣٩). كما كان للمرأة المصرية دور قيادي، ووطني، وسياسي كبير خلال حروب التحرير ضد الهكسوس ومن الأمثلة على ذلك "الثالوث النسائي الأشهر في تاريخ البطولات الحربية وصناعة أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ" وفيما يلي التعريف بهذا الثالوث: (عائشة محمود عبد العال ٢٠٢٠ :٩٥ – ٩٨)

١– "تتى شيرى" (الملكة الأم): وهى الجدة الكبرى للأسرة السابعة عشرة زوجة الملك "سقنن رع تاعا الأول" وكانت من عامة الشعب. وتولت الوصايا على عرش ابنها الطفل "سقنن رع تاعا الثاني" بعد استشهاد زوجها.

٢– "إياح حوتب" (امرأة قهرت الهكسوس)، وهى فلاحة مصرية تزوجها الملك ووقفت إلى جواره في حربه ضد الهكسوس والذي قُتل في ساحة القتال أمامها وأمام ولديها "كامس وأحمس" وقد دفعت بابنها الأكبر "كامس" إلى ساحة القتال وجعلته على رأس الجيش حتى قُتل هو الآخر، فكانت بعده وصية على طفلها أحمس والذي لم يتعد عمره وقتئذ العشر سنوات، واستطاعت أن تدير دفة الحكم بالبلاد سياسيًّا وعسكريًّا حتى تولى أحمس مقاليد الحكم (نحو ١٥٧٠ قبل الميلاد).

وخلد المصريون اسمها حتى يومنا هذا حيث يتغنون بالأغنية الشعبية: "وحوى ياوحوى إياحا" احتفالاً بقدوم رمضان، وقد نطق المصري اسم الملكة "بإياحة وأيوحا" وجمعت شمل الجيش ووضعته تحت رعايتها وألقت خطاًبا حماسيًّا قالت فيه لابنها أحمس:"لا تعُد إلا بالنصر". كم أنها صاحبة إدخال العجلات الحربية لمحاربة الهكسوس إلى مصر، وهى زوجة الملك وأخت الملك وأم الملك، وقد عاشت حتى بلغت التسعين.

٣– "أحمس نفرتارى" وهى زوجة أحمس طارد الهكسوس وكانت وصية على ابنه "أمنحتب الأول" حتى استكمل بناء مصر الإمبراطورية العظمى بعد أبيه، وكانت أول امرأة في التاريخ تقود فرقة عسكرية كاملة. وتقلدت وظيفة الكاهن الثاني لآمون بمعبد الكرنك.

ومن ثم، استطاعت الملكة المصرية أن تدير دفة الحكم بالبلاد في براعة منقطعة النظير، وفى ظل الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد بالتحكم في إدارتها والسيطرة عليها فقامت بتعزيز أركان الدولة وتمكنت من إقناع المعارضين بعد توحيد الجانب الأكبر من البلاد (نوبلكور، ٢٠٠٠: ٤٠).

وتدل الألقاب التي حصلت عليها الملكات في مختلف العصور على ما كان لهن من مركز سام وتَمتُعهن بكثير من الحقوق التي كان يتمتع بها الملوك، وفى الدولة القديمة تمكنت ملكتان أو ثلاث

يحكمن البلاد وحدهن، وبمرور الزمن ازداد نفوذ الملكات حتى أصبح واَضحًا تمام الوضوح في الدولة الحديثة وقد تمكنت ملكتان في هذه الفترة من أن يحكما البلاد وحدهن: "حتشبسوت" والتي أدارت البلاد بمهارة فائقة. و"تاوسرت" ويدل ذلك على أن المرأة كانت تقوم في بعض الأحيان بأهم الأدوار التي يقوم بها الرجل (عبد الحليم نور الدين، ب.ت :٥٥). (ومن النماذج النسوية الملكية البارعة في العمل السياسي وحكم البلاد الملكات: نفروسوبك(*) وحتشبسوت(**)، ونفرتيتي، وتاوسرت(***) ثم نفرتارى).

كما عملت المرأة المصرية كمستشارة للعرش مثل حتب حرس زوجة سنفرو مؤسس الأسرة الخامسة، وتتجلي المساواة التامة بين الرجل والمرأة من خلال المجموعة الرائعة من الإردواز بالحجم الطبيعي التي تمثل "منكاورع" وبجانبه زوجته "خع مرونبتي" الثانية بنفس الطول وهما يوجهان نظرهما نحو الفضاء اللانهائي (نوبلكور، ٢٠٠٠: ٤٥).

وعن الوظائف المهمة التيتقلَّدتها المرأة في مصر القديمة، والتي قربت شاغلاتها من موقع اتخاذ القرار في القصر الملكي مثل: "كبيرة الحريم"، و"المرضع" التي كانت تقوم بإرضاع الأمراء والأميرات، و"زينة الملك" التي كانت تقوم بإعداد ملابسه وتساعده على ارتدائها في المناسبات الدنيوية والدينية، وهناك أيضًا المنشدة، والمغنية، وعازفة الموسيقى والكاهنة، والنادبة التي كانت تشارك في الجنازة لتعديد مآثر المتوفى (عبد الحليم نور الدين، ب.ت: ٨٥).

وفى الدولتين القديمة والوسطى، كان هناك مجموعة من الألقاب والوظائف، وكانت بعض هذه الألقاب شرفية تشير إلى تقدير خاص للسيدات حاملات هذه الألقاب، وكان بعضها ديني، حيث كان بعض السيدات كاهنات الآلهة في الدولة القديمة (مثل كاهنات للإلهات "حاتور"، و"نيت"، و"باخت") وكان للكاهنات وضع اجتماعى معين. (عبد الحليم نور الدين، ب.ت :١٤٢).

كما امتدت قيمة المساواة بين الرجل والمرأة إلى مجال الوراثة والتعليم والتربية ومزاولة المهن الحرة والكتبة والموظفين، وتعلم الكهنوت، إضافة لممارسة المهن البسيطة التي لا تتطلب تعليمًا مدرسيًّا مرتبطًا بأداء الحرفة، كما كان للمرأة المصريةحرية اختيار زوج المستقبل وفقًا لقواعد

(*) الملكة نفروسوبك كانت خاتمة للأسرة الثانية عشرة في الدولة الوسطي وهي ابنة امنحمات الثالث وأخت امنمحات الرابع.

(**) الملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشر.

(***) تاوسرت تمثل آخر ملكة في عصر الأسرة التاسعة عشرة قبل انتقال الحكم إلى الملك رمسيس الثالث من الأسرة ٢٠ نحو عام ١١٩٠ ق.م.

معينة وبموافقة الأبوين بالطبع، ومما يذكر أن المرأة خلال فترات تاريخية معينة لم تكن تحظى بحقوق واسعة كما كان الحال في عهد الفتوحات الكبيرة للتحتمسيين والرعامسة، ولنأخذ أمثلة للدلالة على أوضاع المرأة خلال حكم الرعامسة {الأسرتين ١٩ و ٢٠}:

في عصر رمسيس الرابع، تُشير الرسوم المصرية القديمة إلى الآلهة "سخمت" ربة القوة وزوج "بتاح" رب "منف"، وأم الإله "نفريم" – (ثالوث منف) – فإنه يقول لها: *"أنه قد منحها القوة بين كل الآلهة، وأن غضبها واحترامها عظيمان بين الرجال، وأن كل البلاد تحت سلطانها، وأنه قد منحها من القوة والسلطان ما يجعلها تقبض على من تشاء في كل البلاد".* (سليم حسن، ٢٠٠١م، الجزء الثامن: ٣١).

في مجال الملكية والميراث، فمنذ الأسرة الثالثة تصرفت السيدة "نب سنت" زوجة الموظف الكبير "متن" بكل حرية في حقها في ملكية ميراثها والانتفاع فيه وأوصت به إلى أبنائها وكان نصيب "متن" خمسين "آرور" فقط. وكان واضحًا أن جميع أفراد الأسرة (الأب، الأم، والأبناء) يملك كل منهم ثروته الخاصة ويتصرف فيها كما يروق له، ولا تبدو المرأة تحت سلطة زوجها أو ابنها البكر. كما كانت لا تخضع لأية وصاية لأنها كانت متساوية معهما في الكرامة والحقوق، أيضًا كان للمرأة المصرية الحق والأهلية القانونية للمطالبة بحقوقها الضائعة وكانت تحصل عليها، ففي بداية الأسرة الثالثة عشر نورد نصًا لوثيقة مهمة تتضمن شكوى تقدمت بها "تحنوت" ضد والدها الذي فضل زوجته الثانية وقدمها في الميراث على حساب أبنائه من زوجته الأولى: *"لقد ارتكب أبي مخالفة، في حيازته أشياء أمتلكها "كان" زوجي قد أعطاها لي ولكنه (أي الأب) نقلها إلى زوجته (الثانية) "ستب تيسى" "فهل يمكن أن استرد متعلقاتي؟"* (نوبلكور، ٢٠٠٠: ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦)

وما يدل على سيادة قيمتي الاحترام والمساواة بين الرجل والمرأة في محيط الأسرة التي كانت الروابط داخلها أهم روابط الاجتماع ما يذكره برستيد: *"ورابطة الأسرة كانت أهم روابط الاجتماع وقتئذ، واقتضي قانون تلك العصور العتيقة ألا يتزوج الرجل بأكثر من واحدة وأن أطفال هذه الزوجة هم ورثته الشرعيون، وساوت الزوجة الرجل في كل أمر، وكانت تعامل بكل احترام دائما ... والغالب أن هذه العلاقات نشأت بين الطرفين منذ نعومة أظفارهما لأن القوم على اختلاف طبقاتهم اعتادوا أن يزوجوا الأخ لأخته وأن يعتبروا أخته زوجته الشرعية ورئيسة منزله..."* (برستيد، ١٩٩٦م، ٥٥-٥٦).

كان لقب المرأة "نوتخت" ومعناه أي (طيبة منتصرة) تحمل لقب (مواطنة) ويعني المرأة الحرة التي ليست في خدمة أحد، وكان هذا اللقب واضحًا افتتحت به هذه المرأة وصيتها في حكم رعمسيس الثالث – وكان لهذا التصريح أهمية لأنه يعطيها حق التصرف في أملاكها. تتضمن الوصية أن هذه السيدة بعد أن كبر سنها كانت تنتظر المساعدة من أولادها الثمانية الذين قامت بتربيتهم وإمدادهم بالمتاع اللازم لحياتهم بعد ترك بيت والدهم، وقد آثرت "نوتخت" أن تتصرف في وصيتها تبعًا للمعاملة الحسنة التي تتلقاها من أبنائها، ووصفت أبناءها بأنهم "خدامكم" واستعملت لهذا المعنى كلمة "باك"، ولأنها حرة فأولادها أحرار بالتبعية، إنما كانت تقصد أن أولادها في خدمة السلطة، وكانوا يعاملونها معاملة حسنة. ولازال هذا التعبير يستخدمه المصريون حتى يومنا هذا كأن تقول "خادمك المطيع فلان" المهم أن "نوتخت" حرمت الأولاد العاقين لها، وكان عددهم ثلاثة من الميراث، بينما منحت الباقي ميراثها وعددهم خمسة. وهذا يشير صراحة إلى قيمة الطاعة على مستوي الأسرة، وقيمة الحرية التي كانت المرأة المصرية تتمتع بها (سليم حسن، ٢٠٠١م: الجزء الثامن، ٢٦٢ – ٢٦٧).

٦- المساواة في التعليم بين الجنسين والمهن التي مارستها المرأة المصرية:

وكانت المساواة في التنشئة والتعليم قائمة بين الذكور والإناث. حيث كان يصرح لبعض البنات في سن الرابعة من عمرهن بتلقي التعليم المتاح للأطفال، وكان تعليمهن إعدادًا لهن كي يُصبحن موظفات، كما كان الحصول على وضع (الكاتب) "سيسن" واجبًا قبل عملهن.

كان تعليم البنت يبدأ بتعليمها الكتابة بالأحرف الهيروغليفية المستخدمة في التعبير ثم دراسة قوائم الكلمات، التي يجمع بينها المعني والتدريب عليها، كما كانت البنت تتعلم مفاهيم الحساب والرياضيات والهندسة في نهاية المرحلة الأولى التي تمنح الحق في لقب "كاتب" (حاصل على محبرة)، ولم يتوقف الاهتمام بالتعليم كقيمة أساسية ومهمة على المدرسة، بل شاركت الأسرة في هذا المضمار، مع ضرورة تعليم البنت والولد احترام قواعد الأخلاق، والسلوك الواقية من خرق النظام الذي يعكر صفو المسار الطبيعي للأشياء (برستيد، ٢٠٠١م، ١٥٥).

وغالبًا ما تدخلت المكانة الاجتماعية للأسرة في تحديد نوع المهنة التي تمارسها المرأة والرجل على حد سواء في سوق العمل داخل المجتمع المصري القديم، ومن جهة أخرى تُشير البرديات إلى حالات قليلة – ربما بسبب قلة المعلومات المتوافرة من البرديات والنقوش –تقلّدت فيها المرأة المنتمية لمكانة اجتماعية أقل مناصب رفيعة، ربما بسبب قوة نفوذ أسرتها، كمثال قوى على هذا السيدة "نبت" التي كانت تعمل قاضية ووزيرة لكونها من الأسرة الخامسة، وربما حصلت

على هذه الوظيفة الرفيعة لكونها من أسرة "أبيدوس" ذات نفوذ شديد حمت الملك "بيبي" أثناء مؤامرة مدبرة في الحرملك.

على مستوي المجتمع المصري القديم، أسهمت المرأة المصرية في العمل سواء في المهن الحرة كأن تكون سيدة أعمال، ومن الأمثلة على ذلك: السيدة "في نفر" التي كانت مالكة لأراضٍ وصاحبة ثروة ضخمة في عصر الأسرة الحديثة، أو العمل في تعلم الطب والجراحة منذ عصر الدولة القديمة وأيضًا السيدة "بسشت" المدفونة في مصطبة الجيزة من عهد الأسرة الرابعة، وكانت تحمل لقب مديرة الطبيبات "وكانت بهذا أول طبيبة في العالم، ومهنة المرضعة والتي كانت تقدم هذه الخدمة للعائلات البرجوازية، وكانت المرضعات الملكيات من كبريات سيدات المجتمع اللاتي يكرسن وقتهن للبنات الملكيات ويتعين أن يحصلن على التعليم الضروري (مثال: "سش سشنت" مربية الأميرة "أدوت". وهناك مارست المرأة مهنة القابلة واستكمالها في معظم الأحوال بمهنتي الغناء والعزف (نوبلكور، ٢٠٠٠: ١٦٠ – ١٦١)

في ظل الدولة الحديثة ورغم أن الإدارة بالكامل في أيدي الرجال إلا أنه في بعض الأحيانكانت المرأة تمارس عملاً خلفاً لزوجها في حالة سفره، ومثال ذلك مفتش الضرائب الذي عهد إلى زوجته سلطة تمثيله وموافاته بتقارير مفصلة، كما مارست المرأة مهنًا راقية وتولت مناصب مهمة في عهد الدولة الوسطى. إذ تولت منصب مدير "الأختام" السيد "تشات" مديرة أملاك الملك الحاكم "ختوم حتب الثاني" في بني حسن، والسيدة "سد جواتيت" منصب أمينة الخزانة والمسئولة عن ثروات سيدها (نوبلكور، ٢٠٠٠م: ١٦٠ – ١٦١).

ثالثًا: نماذج من قيم العمل في المجتمع المصري القديم:

١- عبقرية المكان والوازع الديني كقوة خلاقه للعمل بمفهومه الأداتى:

إن مصر، أو"كمت" أي "الأرض السوداء" اكتسبت هذا الاسم بفضل المياه الوفيرة التي يقدمها نهر النيل،من هنا بدأ الإحساس الديني يتولّد داخل قلب المصري القديم الذي استقربه المقام فوق أرض مصر عندما توصل إلى ضرورة وجود إرادة عليا تتحكم في فيضان النيل أو انحسار مائه في دورة منتظمة تتكرر دائمًا بواقع ثلاثة مواسم كل منها من أربعة أشهر وخلالها يرتفع منسوب مياه فيضان النيل، وما يصحبه من خير لشعب مصر ومن أفراح تعم البلاد لوفرة المحاصيل، على النقيض يظهر القلق لدي أفراد الشعب إذا ما حل الجفاف شيئًا فشيئًا بالأرض، ومن ثم ارتبط النيل في وجدان المصري ببقاء الطبيعة والأمل بل والخلود أحيانا (نوبلكور،

٢٠٠٠م: ٧). وصارت الواحات الخضراء على امتداد نهر النيل والتي يحدها الرمال من الشرق والغرب مستقرًا لحياة المصريين وإقامتهم، كما ساعدت الظروف المناخية من صفاء السماء وسطوع الشمس وأفولها وفق نظام كوني مرتب غير قابل للتغيير بشكل سرمدي يقوى الوازع الديني ويقطع بأن وراء هذه القوة الممثلة في عبقرية المكان خالقاً ينظم حركتها بدقة متناهية، هكذا ظل المصريون على يقين تام وإيمان راسخ أن كل ما يحيط بهم هبة من الله؛ لذا وجب عليهم الاندماج مع هذا الإيقاع، والتكيف معه، والتجاوب بقوة مع معطيات البيئة المحيطة، والاستفادة من مواردها إلى أقصى حد، بما أودعه الله في داخل الشخصية المصرية من قدرات دون تفرقة بين الرجل والمرأة؛ لهذا قام كلٌ منهما يكمل الآخر ويتعاونا سويًا للمحافظة على هذه النعم والشكر عليها والعمل سويًا من أجل هذا الهدف فنشأت قيمة الاحترام المتبادل بينهما، والمساواة في العمل، والحقوق والواجبات بل ويكتسب مفهوم العمل أول أبعاده الأداتية لدي المصري القديم، حتى أن ما وصل إليه المصري القديم من شأن عال في مجال التعليم وعلوم الفلك كانت لخدمة العمل بمفهومه الأداتي.

٢- قيمتا التعاون والمشورة في العمل:

تتجلي قيمة التعاون في العمل أثناء فترات فيضان النيل وإقامة الجسور؛ لأن النيل مصدر حياة المصري وأسرته وجيرانه، وتتعاظم هذه القيمة فيما بعد ممثلة في الإنجاز المصري الرائع للمسلات، وأعمدة الهياكل، والأهرامات في عهد الفراعنة، واتفق ذلك تمامًا مع تفسير الفيلسوف الكبير زكي نجيب محمود عندما أرجع التعاون لقيمة أصيلة في ثقافة المصري وهي انصهاره في مجتمعه منذ النشأة للمجتمع القديم على ضفاف النيل، وأن خاصية الانصهار الاجتماعي يتفرد بها المصري عن سائر الشعوب الأخرى التي تصورها الفلاسفة والأدباء على تعاقب العصور.

في هذا الصدد يقول: زكي نجيب محمود: "*فكرة التعاون بين المصري والمصري هي – إذن– فكرة أصيلة في ثقافته التي نشأ عليها ودامت معه قرونًا ... وربما كان المصري – بانصهاره في مجتمعه قد شذ عما كان سائدًا في شعوب أخري حيث كانت الفردية المستقلة بذاتها عن سائر الناس هي الصورة المثلي .... نعم كان المصري لا يعرف الحياة إلا تعاونًا مع الآخرين...*" (زكى نجيب محمود، ١٩٩٩م: ٢١١).

وكذلك يؤكد حكم "بتاح حُتب" الذي اعتزل منصب الوزير الأول للملك "إسيسي" أحد ملوك الأسرة الخامسة في القرن السابع والعشرين ق.م – على قيمتي المشورة والتواضع عندما

نصح ابنه قائلا: "لا تكن متكبرًا بسبب معرفتك، فشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها...".

٣- إله الشمس كنموذج مثالي لقيم العمل:

هذا الانتقال الأساس المتمثل في نقل نشاط إله الشمس الذي كان منحصرًا في دنيا المادة وحده إلى مملكة الشؤون البشرية بات هذا الإله حقيًا لفرعون وحاميًا له، إذ تقول متون الأهرام": أنه يُ مكّن له مصر العليا ويُ مكّن له مصر السفلي ويُ هدم له معاقل آسيا ويخضع له كل الناس الذين سَوَّاهم بأصابعه" ومن ثم فإن هذا التحول قد أفضي في نهاية الأمر ليجعل من فرعون أول إله خُلقي عادل عرفه التاريخ (برستيد، ٢٠٠١: ٤٧).

ارتقى الفكر المصري بدرجة مدهشة في مثل هذا التاريخ البعيد عندما أعاد منبع كل شيء إلي العقل أو الفكر، وأن جميع الأشياء ظهرت إلى حيز الوجود بما فكرفيه القلب (العقل)، وأمر به اللسان (الكلام)، ومن هذا التصور صار الإله نفسه هو القلب الذي يفكر واللسان الذي يتكلم وبحلول الإله في كل شيء، واعتقد المصريون أن الإله يعمل عمله في كل صدر وفي كل فم في جميع الكائنات الحية، ودليل هذا ما تشير إليه المتون من عبارات استمرت بعد هذا الاعتقاد بألفيسنة ومنها كان يُ عتقد في " وحي الإله في كل الناس" أو يشير المصري مخاطبًا غيره إلى "الإله الذي فيك". من هذا التصور الناضج والفريد للمفكرين القدامى نقول بظهور أول نموذج مثالي لأخلاقيات العمل ضمن منظومة الأخلاق السامية. إذ كان الاعتقاد بأن المركز السامي والمراتب السامية والوظائف الحكومية التي يسير بمقتضاها المجتمع الإنساني هي من وضع عقل سام، وكانت الشؤون العملية، والعلاقات، والقيم في الحياة العامة، والحرف الصناعية على حد سواء تسير وفق قاعدة "الأمر الذي يفكره القلب ويخرج من اللسان" أي تعاظم وسمو قيم السلام والعدل والحق والإخلاص وأن الإله صانع ما يحب وما يكره (برستيد، ٢٠٠١: ٥٦-٥٧).

٤- الاستقلالية والإبداع والابتكار في العمل:

إلى جانب الانتقال الذي دخل به إله الشمس إلى المجتمع الإنساني بصفته ملكًا أرضيًا مسيطرًا على الحياة البشرية، نشأت مملكة طبيعية أخرى بدأ المصري الإسهام فيها وقام بأعمال الآلهة التي يصعب تحديدها ويوجه قواها الخفية، وقامت هذه المملكة على الإبداع والابتكار في الإسهام غير المسبوقفي تاريخ البشرية بما يُ عرف بالحياة النباتية، إذ استطاع المصريون القدماء

استنبات القمح البري والشعير، ومن ثم تغيير حياة المجتمع كلية من حياة الصيد والقنص إلي حياة الزراعة الداعية للاستقرار والإقامة، وترجع بداية هذا التغير إلى نحو ٨٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف سنة) مضت بظهور أول إقليم زراعي واسع تكسوه الخضرة التي صارت أحب الألوان الدالة على الخير في معتقدات المصريين، أدي هذا التغيير إلى تولد شعور قوي لدي المصري للاعتماد الأكبر في المعايش على ثمرات الأرض الخضراء (برستيد، ٢٠٠١م: ١٠٩) وتأصلت قيمة الاستقلالية في العمل مع التعاون في المحافظة على النماء والخضرة. واكتسبت الأرض الخضراء المنبتة للخير نعت الإله "أوزير" أو توَحد الأرض "وأوزير" معًا كما تعكس هذا الأنشودة التالية المقتبسة من متون توابيت الدولة الوسطى:

أما أنت فإن النيل ينبع من عرق يديك وأنت تتنفس الهواء الذي في حلقومك إلى أنوف الناس فوهبت القداسة لما تعيش عليه الناس، وكذلك توجد في انفك الشجرة وخضرتها والأعشاب والنباتات والشعير والقمح وشجرة الحياة. وعندما تحفر الترع ... وتبني البيوت والمعابد، وعندما تنقل الآثار وتزرع الحقول، وعندما تنحت المقابر ومزاراتها فإنها ترتكز عليك كلها وأنت الذي تصنعها فهي على ظهرك رغم أنها أكثر من أن تدون وظهرك لا يوجد عليه مكان خلو لأنها جميعا موضوعه فوقه " (برستيد، ٢٠٠١م: ١١٢).

أيضًا يعكس هذا التحول في الثقافة المصرية والمتمثلة في ارتباط الإله "أوزير" فاتح المياه كمصدر للخصب بالأرض الاتجاه المصري الجديد نحو التفكير بالصور الواقعية. أي من التفكير المصري القديم الذي كان يرى عنصر الحياة لا يفنى أبدًا إلى حالة أخرى ترى الموت حقيقة. فحياة الأرض تموت ثم تحيا وتتصل أحيانًا بالمياه التي تمنحها الحياة، وأحيانًا بالتربة الخصبة والذي تظهر في النبات نفسه. وكل هذا و"أوزير" شيء واحد (برستيد، ٢٠٠٠: ١١٣).

ويشير جمال حمدان إلي النشاط في العمل وارتفاع قيمة التعاون في أدائه بين المصريين في عصر الزراعة بقوله: "*ولا شك أن بيئة مصر الفيضية قد جمعت في تناسب معقول بين حوافز النشاط وبين إمكانيات العمل، بين الضرورة والاحتمالية، فمصر كانت في طبيعتها غنية دون أن تصل حد التبذير، فلم تكن الثمرة تتساقط من الأشجار لفلاحين كسالي، وكانت الطبيعة تمنح وتمنع عطاياها بانضباط متساو، ولقد وفر النيل والشمس خامات الحياة ولكن كان لابد لصنعها من معركة ضد الموت: ضد الفيضانات وضد الرمل والملح .... الخ ولهذا كان الجهد البشري شرطًا للتقدم، وكان التقدم مكافأة الجهد البشري..* (جمال حمدان، الجزء الثاني، ١٩٩٤: ٤٥١).

ومن بين ما يذكره برستيد في وصفه للفنون الجميلة وبراعة المصري القديم في تجسيمه لمظاهر الطبيعة الأصلية مما يعكس أثر عبقرية المكان والنيل والخضرة في تفجير الطاقة الإبداعية لدى الفنان المصري. ما نصه: " *وبلغت الفنون الجميلة درجة قريبة من الطبيعة بعيدة عن الأوهام لم تبلغها أية بلدة أخري في تلك العصور القديمة ... وكثيرًا ما زين المصري أسقف حجراته برسوم الحمام والفراشاتالطائرة بين الأشجار وكان يُ حلي أرض منزله باللون الأخضر على شكل مستنقعات يسبح بين أعشابها السمك .... ولما كان هم المصري تحسين وتنميق كل أداه مفيدة عملًيا لم يعر الجمال أهميته النظرية فكانت الأشياء العملية أهم ما أخرجته أيدي صناع هذا العصر، فإذا نظرت مثلًا إلى تماثيل المملكة القديمة تجدها بلغت مثلًا حدًّا مدهشًا من حيث المطابقة للأصل... وقد بذل المقاولون جهدهم في جعل التماثيل مطابقة للأصل فلوَّنوها بالألوان الطبيعية وصنعوا الأعين من الحجر البلوري ... ويرجح أن أحسن ما ُعرف من التماثيل الجالسة للمملكة القديمة هو تمثال الملك "خفرع" باني هرم الجيزة الثاني ... والحق يقال أن صانع هذا التمثال كان من أبرع رجال طائفته وقتئذ لأنه تغلب على صعوبات جمة ... زد على ذلك أنه أتم عمله بمهارة وإتقان ..."* (برستيد ١٩٩٦، ٦٧).

وفى إطار ما سبق، يلعب التناغم والاتساق غير المسبوق بين البيئة والإنسان في المجتمع المصري دورًا جوهريًّا في تعاظم قيم التعاون والاستقلالية والإبداع والابتكار في العمل وفي مناشط الحياة المجتمعية. وإذا كانت مصر أول أمة أو شعب – كما يقول جمال حمدان – بمعني القومية أو الوطنية الزراعية على ضفاف النيل أدعي إلى تحقيق التماسك الاجتماعي وتسهيل الوحدة الوطنية بما توفره من تجانس بشري وتشابه في طرق الحياة، والتفكير وتقارب في الجوار وتشابك في المصالح. (حمدان، الجزء الثاني، ١٩٩٤: ٤٦٢، ٥١٠). ومن ثم يجمع المجتمع المصري بيت الوحدة الطبيعية والوحدة الوطنية والتجانس الثقافي ووحدة اللهجة ووحدة اللغة.

وإذا استثنينا عصر الهكسوس واحتلالهم لمصر بعد انهيار عصر الأسرة الثانية عشر وانتقلنا إلى عصر الأسرة الثامنة عشر في ظل حكم أحمس الأول، ودوره المتميز في تنظيم الحكومة المصرية، وإدارة البلاد الداخلية يتضح لنا الارتباط الروحي المتين بين المصري والنيل والذي أسماه "حابى" وغيره من الظواهر الطبيعية التي تحمل سر الحياة للمجتمع وأفراده فمن الشعر الغنائي المدون في البرديات خلال الأسرة الثامنة عشر لشاعر مجهول يخاطب النيل قائلا في بعض أبيات القصيدة (عطية عامر، ١٩٩٥م: ٣٥٢): " *تحية لك، حابي (ملاك النيل). نابع*

من الأرض..قادم لإخصاب مصر من المسالك الخفية المظلمة في النهار..إلى من يغني له شعبه..يتسرب إلى حقول أبدعها رع لإطفاء ظمأ من هو عاطش لرى الصحراء الجرداء نداه يتساقط من السماء". ويستطرد الشاعر قائلاً: (عطية عامر،م ١٩٩٥: ٣٥٣): "عندما تقل مياهه يصيب الفقر كل إنسان، وعندما يقل الخبز المقد مليون ضحية بين الرجال، وعندما يجف تثور البلاد ويصرخ العظيم والبسيط، قدومه يغير حياة الناس وعندما خنوم (ملاك المياه) يقدم له الزينة يفيض وتعم الفرحة، وكل بطن تُملأ سعادة وكل فم يأخذ في الضحك وكل إنسان يكشف عن طبيعته وكل كريم يكثر من كرمه ...مسيطر على البلدين (جنوب مصر وشمالها)..مالئ للمخازن..مُضخم للمحاصيل..معط للفقير بسخاء"

٥- قيم العمل المثالية الحاكمة لعلاقة الحاكم بشعبه:

لم يعد الوازع الخُلقي مقتصرًا على الأفراد وعلاقتهم بأسرهم أو جيرانهم أو المجتمع بل امتد إلى الفئات العليا من المجتمع. كما أصبح له تأثير واضح في علاقة الحكومة بالشعب. وكانت العلاقة تتسم بالسمو الأخلاقي، وتسمو عن الأغراض الشخصية والعلاقات الأسرية، فلا محاباة أو مجاملة، ومن ثم تعاظمت قيمة العدل، ووجب تنفيذ الواجبات الحكومية نحو عامة جميع الشعب حتى لو كان من نتائجها إهمال رعاية حقوق الأسرة أصلًا، كما تحتوي بعض النقوش أن الوزير العادل "خيتي" قد صار مضرب الأمثال بسبب الحكم الذي أصدره ضد أقاربه عندما كان يترأس جلسة للتقاضي كان أحد أقاربه أحد الطرفين المتخاصمين ومن عجب أن أصدر حكمه ضد قريبه دون أن يفحص الوقائع والأدلة تورعًا منه أن يتهم بمحاباة أسرته ضد خصومها (برستيد، ٢٠٠٠م: ١٤٠).

وعلى مستوى النظام الإداري والحكومي في عصر الدولة القديمة، تبرز قيم العمل المثالية من منطلق الانجدال العضوي للنزعة الدينية في استثمار المصري القديم في عمله ونشاطه للتعليم والمعرفة بالمفهوم العملي، وكما أسلفناذكره، كان يُطلق على التصور المصري للنظام الإداري والخُلقي العظيم اسم "ماعت" والذي جاء محصله لتكامل الأداء بين المجتمع والحكومة والتأثيرات الحكومية (برستيد، ٢٠٠٠م: ١٥٨).

بالنسبة إلى تعاليم الملك "خيتى الثالث" أحد ملوك الأسرة العاشرة التي حكمت مصر القديمة إلى ولده "مري – كا – رع" من أجل تمهيد الأخير لتولى الحكم. فيقول لابنه:*"...أقم الحق طوال حياتك على وجه الأرض، وواسى الحزين، ولا تظلم أرملة ولا تطرد رجلاً مما كان يمتلكه*

أبوه، ولا تلحق ضررًا بالقضاة فيما يتصل بمناصبهم، وكن حذرًا مدققًا حتى لا تظلم أحدًا أو تعاقب دون وجه حق" (عماد عبد القادر سعيد، ٢٠١٠م: ١٩).

٦- قيمتا الطاعة والإصغاء مع الاهتمام بالآخرين:

وتعكس متون الأهرام وما تحويه من روايات ما يمكن أن نستخلص منه مجموعة من القيم الإيجابية المرتبطة بالعمل كمنظومة فرعية تتدرج ضمن منظومة القيم الاجتماعية الداعية للأخلاق السامية، ونأخذ من حكم "بتاح حتب" نصوصًا تكمن بداخلها هذه القيم وتُعد هذه النصوص أقدم ما عرفته البشرية من أدب يعبر عن السلوك المستقيم. حيث يقول "بتاح حُتب": " *إن المستمع هو الذي يحبه الإله، أما الذي لا يستمع فإنه هو الذي يبغضه الإله. والعقل هو الذي يجعل صاحبه مستمعًا أو غير مستمع، إن ثروة المرء* العظيمة هي عقله ..." (برستيد، ٢٠٠١، ١٤٣) وهنا يوجد عدد من قيم العمل الإيجابية، ففي مجال علاقة المرءوس برئيسه في العمل الرسمي ينصح بقوله: *"إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة واحترمه طبقًا لما وصل إليه؛ لأن الثمرة لا تأتي عفوًا، ولا تعيدين قط كلمات حمقاء وخرجت من غيرك في ساعة غضب، والزم الصمت فإنه أحسن من أزهار تفتح، وتكلم فقط إذا كنت تعلم بأنك ستحل المعضلات، وأن الذي يتكلم في المجالس لفنان (يعني فن الكلام) وصناعة الكلام أصعب من أية حرفة أخرى، وعليك أن تقدم للأمير النصيحة التي تساعده لأن قوتك تتوقف على مزاجه، وبطن الرجل المحبوب مُلأ وظهره يُكسي تبعًا لذلك. كن عميق القلب نزر الكلام ... وكن ثابت الجنان طوال كلامك، فعسى أن يقول الأمير الذي يسمع كلامك: ما أصوب الكلام الذي يخرج من فمه"*. (برستيد، ٢٠٠١م: ١٤٤ – ١٤٥)

وتبدو قيمة التواضع مع المعرفة في العمل في وصايا "بتاح حُتب" الذي كان أميرًا وعمدة للمدينة. إذ يوصي ابنه فيقول: (عطية عامر، ١٩٩٨: ١٢٨): "لا تفتخر بمعرفتك..تعلم من الجاهل كما تتعلم من العالم..الفن لا حدود له..ليس هناك من فنان يصل إلى الروعة الكاملة..القول الجيد أشد اختفاء من الأحجار الكريمة..ومع ذلك – عند الاختبار – يمكن العثور عليه عند أبسط الناس.

٧- قيمة الصبر في العمل:

تترسخ قيمة الصبر بعامة لدى المصري القديم في شعوره ووجدانه إلى يومنا هذا؛ لأننا كما أشرنا أن انجدال العقيدة الدينية في العمل لديه تضمن الاعتقاد بالمسئولية الخلقية في الحياة الآخرة منذ عصر الأهرام؛ ولأن الحضارة المصرية نشأت أول ما نشأت على ضفاف النيل مع

نشأة أول مجتمع زراعي عرفه التاريخ فإن قيام المصري القديم بزرع المحاصيل والنباتات ارتبط لديه بقيمة الصبر، بل وتدعمت لديه. فهو يزرع النبتة وينتظر ثمارها بعد حين قد يطول أو يقصر. كما أن وقوع الظلم على المصري القديم من جانب الحكام، ومن يعملون تحت إمرتهم تقابله قيمة الصبر من منظور العقيدة الدينية الراسخة لديه، بأن من يظلم في الدنيا فسوف يحاسب على ظلمه في الآخرة. وتبُين متون التوابيت جلاء الكثير من النصائح والأدبيات منها على سبيل المثال لا الحصر: قصة الفلاح الفصيح، والنصيحة التي يقولها الملك المسن "مريكارع" إلى ابنه:

"إنك تعلم أن محكمة القضاة الذي يحاسبون المخطئ لا يتسامحون في ذلك اليوم الذي يحاسبون فيه الشرير وقت تنفيذ الحكم ... ولا تركنن إلى طول الأيام الذي يحاسبون فيه الشرير وقت تنفيذ الحكم... ولا تركنن إلى طول الأيام لأنهم ينظرون (يعني القضاة) إلى مدي حياة الإنسان كأنها ساعة واحدة والإنسان يعيش بعد الموت وأعماله تكون بجانبه كالجبال، لأن الحياة الأخرى أبدية ولا يهمل أمرها إلا الغبي...". (برستيد، ٢٠٠١م: ٢٦٥)

خاتمة وتوصيات:

وختامًا، أرجو أن تكون هذه الورقة بما تتضمنه من حب للحضارة المصرية القديمة وحاجتنا الملحة لاستدعاء مقوماتها في الذاكرة المصرية، لنقول للمصريين من نحن؟ وكيف أن مصر لا تزال أمة عظيمة تفتخر بتاريخها الذي قام على عبقرية الإنسان قبل عبقرية المكان، لذا فإنني أوصى بالتالي:

١- تعزيذز الهوية المصرية، من خلال غرس القيم الأخلاقية من أجل استنهاض القيم الأخلاقية المتأصلة في الشخصية المصرية، والتي أبدعت في بناء حضارة إنسانية متفردة لا تضاهيها حضارة، وأرى إمكانية تحقيق ذلك من خلال:

أ- وضع رؤية تتأسس على تدريس اللغة (المصرية القديمة) بخطها الهيروغليفي في جميع مراحل التعليم قبل الجامعي.

ب- تشكيل لجان متخصصة في التاريخ المصري القديم، والاجتماع، التربية وعلم النفس وتخصصات أخرى ذات الصلة لاستقراء التجليات القيمية التي تنهض عليها الحضارة الإنسانية عامة مع التركيز على الحضارة المصرية القديمة،ولعل هذا الاستخلاص يكون منطلقًا لمواجهة القيم المادية الطاغية والتي يتكالب الغرب عليها من خلال رؤى علماء ما بعد الحداثة.

٢- دعوة إلى إجراء مزيد من الدراسات – من منظور بنائي تاريخي – حول منظومة قيم العمل المصرية من مدخل متعدد التخصصات بمعرفة الجامعات والمراكز البحثية المختصة.

٣- إجراء مسوح سنوية لرصد ومتابعة تطورنا القيمي ومواجهة ما قد يظهر من مظاهر سلبية.

وليكن شعارنا على طريق استعادة المجد وقوة الشخصية المصرية ما قاله الزعيم الوطني **مصطفى كامل "لو لمأكن مصريًا لوددت أن أكون مصريًا"**.

قائمة المراجع:

١- برستد، جيمس هنري (١٩٩٦م): " تاريخ مصر من أق

٢- دم العصور إلى الفتح الفارسي"، ترجمة حسن كمال، القاهرة، مكتبة مدبولي.

٣- ـــــ ،(٢٠٠٠م): " فجر الضمير"، ترجمة سليم حسن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤- ـــــ، (٢٠٠١م): " فجر الضمير"، ترجمة سليم حسن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥- ـــــ، (٢٠١١م): " فجر الضمير"، ترجمة سليم حسن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦- توفيق أحمد عبد الجواد(١٩٨٤م): "العمارة وحضارة مصر الفرعونية"، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية

٧- جمال حمدان (ب. ت): "شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان "، الجزء الأول، القاهرة، دار الهلال.

٨- جمال حمدان (١٩٩٤م): "شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان"، الجزء الثاني، القاهرة، دار الهلال.

٩- زكي نجيب محمود (١٩٩٩م): " هموم المثقفين"، ط١، مؤسسة هنداوي.

١٠- سليم حسن (٢٠٠١م): "موسوعة مصر القديمة، نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة بطيبة في عهد الأسرة الواحدة والعشرين، (الجزء الثامن).

١١- عائشة محمود عبد العال (٢٠٢٠م)، "إياح حوتب وأمها وابنتها.. نساء صنعن الحرية وبنين الوطن"، مجلة الهلال نوفمبر، ص . ص ٩٤-٩٩.

١٢- عبد الحليم نور الدين، المرأة في مصر القديمة ،(صفحة مصريات)، مكتبة الإسكندرية

https://
uomustansiriyah.edu.iq/media/lectures/8/8_2018_01_11!1115_15_AM.pdf

١٣- ـــــ، (ب.ت)، دور المرأة في المجتمع المصري القديم، القاهرة، المجلس الأعلى للآثار.

١٤- عماد عبد القادر محمد سعيد (٢٠١٠م)، الأخلاق في الفكر المصري القديم https://www.researchgate.net)publication)335339567

١٥- عطية عامر (١٩٩٥م): الأدب الفرعوني، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٦- محمد نور فرحات، "بعض مشكلات الوعي القانوني المصري: تحليل للواقع المعاصر من وجهة نظر التاريخ الاجتماعي للقانون" في: أحمد الألفي وآخرون، الإنسان في مصر: الفكر والحق والمجتمع، تحليلات علمية مهداه إلى أحمد محمد خليفة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦.

١٧- نوبلكور، كريستيان ديرودس(١٩٩٩م): "المرأة في زمن الفراعنة"، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.